

مورفولوجيا المعجزة البنية السردية لمعجزات القديسين في التراث الشعبي

أشرف أيوب معوض
باحث في التراث الشعبي

تُعدّ قصص معجزات القديسين تعبيراً عن ثقافة دينية شعبية تؤمن بوجود قدرات خارقة يمنحها الله للقديسين. وغالباً ما يُعاد سرد هذه القصص شفهيّاً، في قالب ملحمي أو عجائبي، يتضمّن أبعاداً روحانية واجتماعية عميقة.

ويلجأ الناس إلى القديسين في أوقات الضيق والخطر والأزمات، متشفعين بهم لطلب العون في حلّ مشكلاتهم. ويستطيع كثيرون أن يسردوا عشرات المعجزات التي يروونها عن اختباراتهم الشخصية مع القديسين أو مع ذويهم، وتُعدّ هذه الشهادات جزءاً من المعتقد الديني الشعبي.

كما يُعتقد أن للقديسين تخصصات معينة، مثل شفاء الأمراض، وطرد الأرواح الشريرة، والعثور على الأشياء المفقودة، وغيرها من المهام المرتبطة بالحاجة اليومية والروحية للناس.

وإذا قمنا بتحليل بنية المعجزة (مورفولوجيا المعجزة) والخطوات التي تمر بها - والمقصود هنا معجزات القديسين - من خلال قراءة وسماع مئات المعجزات، والمدون بعضها في كتب الكنيسة القبطية، فسنجد نمطاً مشتركاً يتكرّر بدرجات متفاوتة.

ويُعدّ كتاب فلاديمير بروب «مورفولوجيا الحكاية الخرافية» ⁽¹⁾ أحد المعالم الرئيسية في الاتجاه البنيوي لدراسة الحكاية الشعبية الخرافية؛ إذ كان أول من طرح فكرة إمكانية ردّ الروايات المختلفة إلى تنويعات على أصل قصصي واحد. وقد اهتم بروب بالبحث عن الثيمات المشتركة التي تتكرّر في تلك الحكايات بأشكال وصور مختلفة، مستخدماً مبدأي التماثل والتكرار.

يمكن تحليل «المعجزة» في السرد الشعبي بالاستناد إلى منهج فلاديمير بروب في وظائف الحكاية الشعبية، حيث تتجلى المعجزة باعتبارها «وظيفة» بنيوية تؤدي دوراً محدداً في دفع الحدث، مثل وظيفة

1 - فلاديمير بروب: مورفولوجيا الحكاية الخرافية: ترايبو بكر أحمد باقادر، أحمد عبد الرحيم نصر، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1989.

«العون الخارق» أو «الحل المفاجئ» الذي يغيّر مسار السرد من أزمة إلى انفراج. ولا تقف هذه القراءة عند حدود بروب، بل يمكن توسيعها في ضوء البنيوية كما عند ليفي-ستروس الذي نظر إلى الأساطير والحكايات بوصفها أنساقاً من الثنائيات الضدية (مقدس/دنيوي، مرض/شفاء، موت/حياة)، أو كما عند غريماس في نموذج الفاعلي الذي يحدد العلاقات بين القوى والشخصيات (القديس/المُعجزة كـ«معطي» في مقابل «المستفيد»). وهكذا يصبح حضور المعجزة ليس مجرد حدث عجائبي، بل وظيفة سردية وبنية رمزية تكشف عن آليات الثقافة الشعبية في صياغة خطابها المقدس.

وعلى غرار التحليل البنيوي للحكاية الشعبية الخرافية، يمكن أن نقدّم تحليلاً بنيوياً للمعجزة من خلال الثيمات الثابتة التي يتكرّر ظهورها في المعجزات، مهما اختلفت الأحداث أو الأشخاص أو الأماكن أو القديسون أنفسهم.

ويمكن تلخيص ثيمات المعجزة، أو مراحلها، على النحو الآتي:

حياة هادئة

حدوث أزمة أو مشكلة

البحث عن حل للمشكلة بالطرق الطبيعية

الوصول إلى حالة يبدو معها أن المشكلة بلا حل

الصلاة الحارة وطلب الله شفاعته القديس أو طلب القديس مباشرة

حدوث المعجزة

تأكيد وقوع المعجزة

تمجيد الله والقديس

ومن خلال هذه الثيمات، يمكن استخلاص نموذج عام للمعجزة، يتكرّر بتنوعات مختلفة في التفاصيل، لكنه يحافظ على بنية سردية موحدة، تُشكّل نمطاً مميزاً لمعجزات القديسين، ولا سيما معجزات الشفاء.

المعجزة

هناك آراء كثيرة حاولت تعريف أو وضع مفهوم حول المعجزة ومن هذه الآراء:

المعجزة هي عمل تجريه القوة الإلهية، لغرض إلهي، بوسيلة ليست في متناول البشر. والمعجزة سميت

هكذا لأن الإنسان يعجز عن صنعها بذاته دون الاستعانة بالقوة الإلهية.

وتعتقد المسيحية أن الذى يجري المعجزات هو الله بذاته أو بواسطة ملائكته أو رجاله القديسين.

ويذكر الكتاب المقدس (العهد القديم) المعجزات التى أجراها الله بواسطة رجاله القديسين مثل الضربات العشر، وشق البحر الأحمر والمعجزات التى حدثت لبني إسرائيل فى بركة سيناء بواسطة موسى النبي وسقوط أسوار أريحا، وقوف الشمس بواسطة يشوع.... إلخ.

ويذكر الإنجيل (العهد الجديد) أن السيد المسيح قام بعمل 35 معجزة فقط على سبيل المثال بالإضافة إلى ولادته من مريم العذراء وقيامته من الموت، بالإضافة إلى السلطان الذى أعطاه لتلاميذه الاثني عشر والآباء الرسل من شفاء الأمراض وإخراج الشياطين.

ولكن هناك الكثير من الروايات الشعبية أو قصص الخوارق التى تنسب للقديسين يلعب فيها الخيال الشعبي دوره.

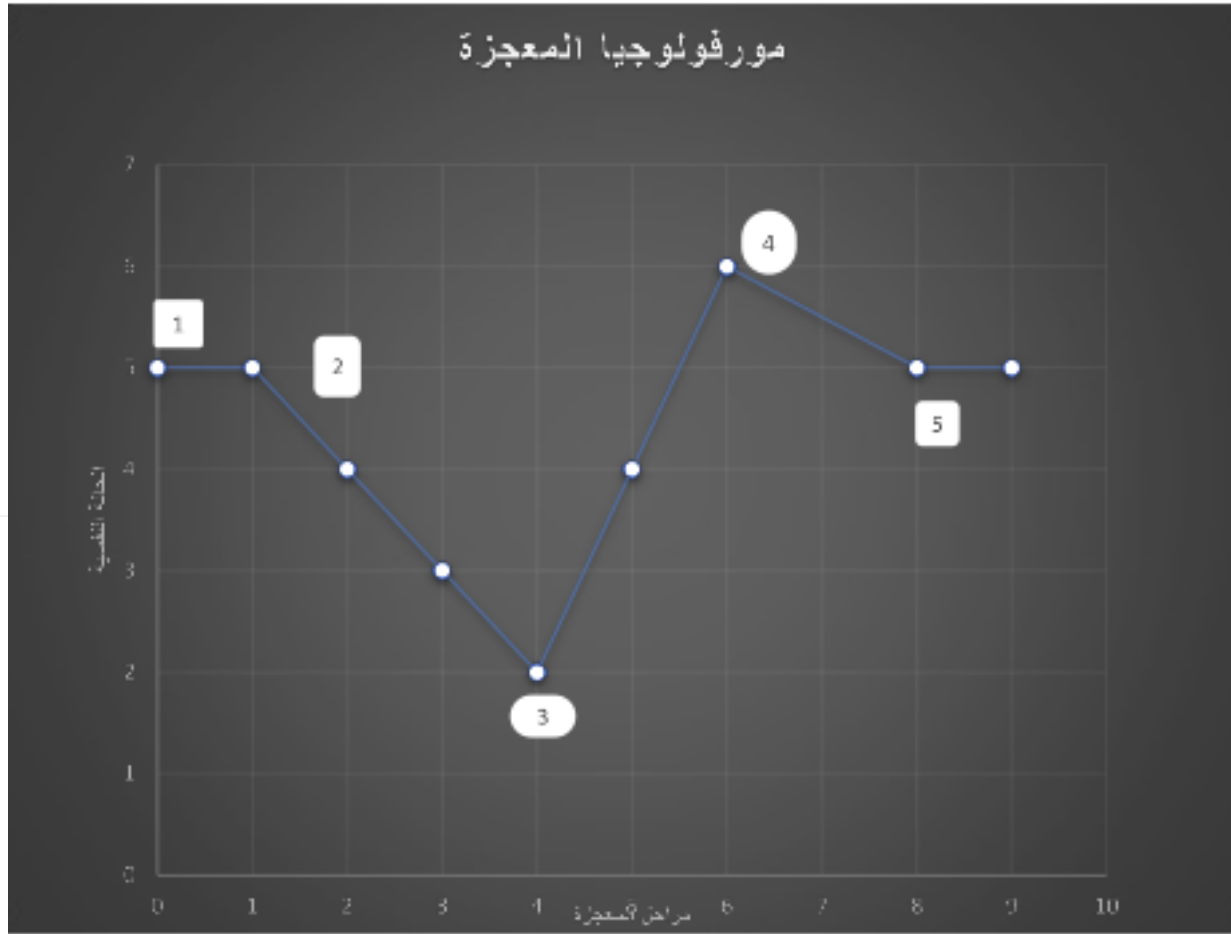
القديسون

تؤمن الكنيسة القبطية والكاثوليكية بشفاعة القديسين، ويتسمى الأقباط بأسمائهم، وكذلك الكنائس والأديرة، وتخصص أعياد وتذكارات خاصة لمذهم وتوضع أيقوناتهم فى الكنائس تخليدًا لدورهم وتضحياتهم فى بناء المسيحية.

ويلجأ الأقباط إليهم فى أوقات الضيق والخطر والأزمات متشفعين بهم، ليحلوا لهم مشكلاتهم. ومعظم الأقباط يستطيعون أن يسردوا عشرات المعجزات التى يقوم بها القديسون معهم أو مع ذويهم، كما أن هناك تخصصات للقديسين فى علاج الأمراض وإخراج الشياطين وإيجاد الأشياء المفقودة.

فى المعتقد الشعبي، يُنظر إلى القديس باعتباره وسيطًا بين الله والإنسان، يستمد منه الناس العون فى حياتهم اليومية، ويجدون فيه مصدر عزاء وقوة فى أوقات الشدة. وتُقدّم له النذور والأضاحي، وتُطلب شفاعته. وتزداد حكايات المعجزات حضورًا وانتشارًا كلما فقد الناس الأمل فى الحلول الأرضية، ولم يبق أمامهم سوى التطلع إلى حلول السماء.

مورفولوجيا المعجزة (التحليل البنائي للمعجزة)



إذا قمنا بتحليل المعجزة ودراسة بنيتها (المورفولوجيا)، وتتبع المراحل التي تمر بها — والمقصود هنا معجزات القديسين — اعتماداً على قراءة وسماع مئات الروايات التي تزخر بها كتب الكنيسة القبطية، فإننا نستطيع الوقوف على خصائصها وعناصرها المتكررة.

وبالنظر إلى الرسم المبين أعلاه نستطيع أن نوضح المراحل التي تمر بها المعجزة.

المرحلة الأولى (١-٢): الحياة الطبيعية

تمثل النقطة (1) في البنية المورفولوجية للمعجزة وضع التوازن الأولي، حيث يكون الفاعل (الشخص) مندمجاً في نسق حياته الاعتيادية، متمتعاً بحالة من الاستقرار النفسي والاجتماعي، دون وجود ما يعكّر صفو هذا المسار. وتمتد هذه المرحلة عبر المسار (1-2) الذي يجسّد سردياً صورة الحياة اليومية المألوفة لأي فرد عادي، قبل أن يطرأ الحدث المزعزع للتوازن في المرحلة التالية.

المرحلة الثانية (٢-٣) : بداية الأزمة

تمثل النقطة (2) في البنية المورفولوجية للمعجزة لحظة الانكسار الأولى في مسار السرد، حيث تطرأ الأزمة التي تخلخل حالة التوازن السابقة وتعيد تشكيل مسار الأحداث. وتتنوع صور هذه الأزمة في معجزات القديسين، فقد تتمثل في مرض مفاجئ، أو إصابة جسدية، أو معاناة روحية كالمس، أو حادثة مؤلمة، أو خلاف أسري، أو مشكلة مهنية، أو فقدان عنصر ذي قيمة مادية أو عاطفية. وفي هذه المرحلة، يُدرك (صاحب الأزمة) أن المشكلة المطروحة تبدو عصية على الحل عبر الوسائل العادية، مما يعمق الإحساس بالعجز واليأس. ويُترجم هذا الوضع سردياً عبر المسار (2-3) الذي يُصوّر كهبوط في المنحنى الدرامي للحياة، مقرونٍ بمشاعر الحزن، والضيق، والكرب، وتفاقم الألم النفسي، وهو ما يمهد درامياً لظهور التدخل العجائبي في المراحل اللاحقة.

في أعقاب ظهور الأزمة، يبدأ (صاحب الأزمة) في توظيف الوسائل العقلية والمنطقية المتاحة لمحاولة تجاوز الموقف؛ فيلجأ، إذا كان الأمر متعلقاً بمرض، إلى استشارة الأطباء وتلقي العلاج، أو إذا كانت المشكلة ذات طبيعة اجتماعية أو مهنية، يسعى إلى معالجتها بالطرق التي يراها مناسبة. وفي حال نجحت هذه الحلول، تنتفي الحاجة إلى التدخل العجائبي، وتظل المعجزة غائبة عن مسار السرد. غير أن المسار السردى كثيراً ما يتجه نحو المحطة (3) التي تمثل تعقد الأزمة أو تفاقمها، بما يؤدي إلى مزيد من الانحدار في المنحنى الدرامي للحياة. ففي بعض الحالات، قد يتحول الحل المقترح نفسه إلى مصدر أزمة أكبر؛ فعلى سبيل المثال، قد يقترح الأطباء إجراء عملية جراحية خطيرة، الأمر الذي يثير لدى المريض مخاوف متزايدة من احتمالية فشلها أو حتى فقدان الحياة في أثنائها، خاصة إذا كانت لديه أو لدى محيطه خبرات سابقة سلبية مرتبطة بهذا النوع من التدخلات. ويبلغ الانسداد أقصى مداه حين يواجه (صاحب الأزمة) أمراضاً لا يملك الطب علاجاً لها — مثل العقم أو السرطان أو غيرهما من الحالات المستعصية — أو أزمات اجتماعية ومادية مغلقة الأفق. وتلعب عوامل أخرى دوراً في تعميق هذا الانسداد، مثل العجز المادي، أو القصور الطبي، أو الجهل، أو سطوة الأعراف والتقاليد. هذه اللحظة من التعقيد المتنامي تمهد سردياً لتهيئة المجال أمام تدخل القوى الخارقة في المراحل اللاحقة من البنية المورفولوجية للمعجزة.

المرحلة الثالثة (٣-٤) : طلب القديس

بعد وصول الأزمة إلى أقصى درجات التعقيد عند النقطة (3)، يبدأ الفاعل في التحول من حالة الانسداد إلى حالة الفعل الإيجابي عبر اللجوء إلى القوى القدسية. في هذا السياق، يتوجه الشخص إلى الله بالصلاة، وإلى القديس بالتوسل وطلب الشفاعة، باعتبارهما المسارين القادرين على كسر حدة الأزمة. يمثل المسار (3-4) في المنحنى السردى بداية الصعود، حيث يتحول الخطاب السردى من الهبوط المرتبط بالألم واليأس إلى الصعود المرتبط بالرجاء والبحث عن التدخل العجائبي. تتخذ أفعال طلب القديس صوراً متعددة: الوقوف أمام أيقونة القديس ورفع الصلوات، قراءة سيرته ومعجزاته، الاستماع إلى روايات الآخرين عن قوته وشفائه للأمراض، زيارة كنيسته أو دير، والصلاة في موضع رفاته أو أمام مقصورته، حيث يعتقد كثير من الأقباط أن الطلبة في هذه الأماكن أكثر فاعلية. كما تُستخدم الرموز المادية التي تمثل القديس — مثل الصور الصغيرة الموضوعة في المحفظة، أو المعلقة في المنزل أو السيارة، أو الصور الكبيرة المعلقة في البيوت — بوصفها امتداداً حضورياً للقديس في حياة المؤمن. كما تتسع هذه الممارسات لتشمل اقتناء أشياء مرتبطة بالقديس والمعتقد في قداستها، مثل الرمال من دير، أو الماء، أو الصور الممزوجة بأثر من حنوطه، وهي ما يُعرف بطقوس البركة التي يُعتقد أنها تملك قوة الشفاء. ويُعزّز هذا الاتجاه بالصلاة الحارة، والتردد المستمر على الكنيسة، ليس فقط لطلب شفاعة القديس المعني بالأزمة، بل شفاعة جميع القديسين، مع طلب الصلاة من الآخرين دعماً للمسعى. على المستوى المورفولوجي، تُبنى هذه المرحلة على فعل إيجابي مركّز، يتمثل في السعي الواعي والمكثف نحو الوسيط القدسي، سواء من خلال الرموز المادية أو الطقوس الروحية أو حتى عبر التوجه إلى رجال أتقياء أحياء ذوي سمعة معجزة، مما يمهد لبروز الحدث العجائبي في المرحلة التالية.

المرحلة الرابعة (٤-٥) : حدوث المعجزة

تمثل النقطة (4) في البنية المورفولوجية لحظة الذروة، حيث يقع الحدث العجائبي الذي يُعيد تشكيل مسار الأزمة. تأتي هذه اللحظة نتيجة مباشرة لمسار تصاعدي من الصلاة الحارة، والطلبة القوية، والسمو الروحي، ليحدث تدخل القديس استجابةً لهذا المسعى الإيماني. تتخذ المعجزة أشكالاً متعددة، لكنها جميعاً تُعد تنويعات لصورة سردية واحدة: تدخل خارق يُغيّر الوضع القائم بشكل جذري. فقد يظهر القديس للشخص في أثناء نومه ليُجري له عملية

جراحية، يستفيق بعدها معافي تمامًا، مصحوبًا بأدلة حسية كظهور صلبان على الملابس، أو بقايا قطن وشاش، أو صورة للقديس مطبوعة على ثيابه. وغالبًا ما يُعزَّز هذا التصور بإجراء فحوص طبية أو أشعة تُثبت الشفاء، سواء كان من مرض عضال، أو من فقدان البصر، أو من الشلل، أو من العقم الذي يزول فجأة بعد زيارة الكنيسة أو الدير والصلاة الحارة فيه. وفي حالات الأزمات غير المرضية، قد يتحقق الحل في التوقيت المناسب بعد الطلبة، ويُدعم ذلك أحيانًا بعبارات تشجيعية من أشخاص مشهود لهم بالقداسة، مثل: «بشفاعة القديس مار جرجس، ربنا سيرزقك ولد» أو «اليوم الذي تأتي فيه إلى الدير، ستكون قد حصلت على طلبك». كما قد يرتبط الحدث العجائبي باستخدام عناصر مادية مقدسة، مثل صورة أو رمل أو زيت من كنيسة القديس، تُطبَّق على موضع الألم أو الجرح فيزول العارض. على المستوى البنيوي، تمثل النقطة (4) لحظة انفكاك الأزمة وتحقيق الانعطاف الحاسمة في مسار السرد، حيث يتحول الهبوط الدرامي إلى صعود كامل. أما النقطة (5)، فهي بداية ما بعد المعجزة، التي قد تتجسد في تغير إيجابي في علاقة الفاعل بالله وبالقديس، أو في العودة إلى حالة التوازن الأولى (1-2) وقد غيّرت بدلالة التجربة الروحية.

يُعدّ كتاب فلاديمير بروب مورفولوجيا الحكاية الشعبية أحد المحطات الرئيسة في تطور الاتجاه البنائي في دراسة الحكاية الخرافية، إذ كان بروب أول من افترض إمكانية ردّ الروايات المتنوعة للحكايات الشعبية إلى تنويعات تنبثق جميعها من أصل قصصي واحد وفريد. وقد ركّز في دراسته على التيمات المشتركة التي تتكرر في هذه الحكايات، وإن اختلفت أشكالها وصورها، معتمدًا على مبدأي التماثل والتكرار، وهما المبدأ اللذان استعان بهما لاحقًا كلود ليفي-ستروس في تحليله لأساطير الهنود الحمر. من خلال هذا التحليل البنيوي، كشف بروب عن إحدى وثلاثين وظيفة تُعد عناصر ثابتة في البنية العميقة للحكاية الشعبية.

وعلى غرار هذا النهج، يمكن تطبيق المقاربة البنائية على معجزات القديسين، انطلاقًا من ملاحظة أن هناك تيمات ثابتة (Functions) تتكرر في روايات المعجزات، بغض النظر عن اختلاف الشخصيات أو الأحداث أو الأمكنة أو القديسين أنفسهم. وبلاستعارة من مصطلح بروب، يمكننا وصف هذه التيمات بأنها «مراحل بناء المعجزة»، وهي وحدات سردية متتابعة تؤلف النمط البنيوي العام للمعجزة.

التيّمات أو المراحل البنيوية للمعجزة:

1. مرحلة الحالة الطبيعية: تمثل حالة التوازن الأولي، كما في عبارة: «كانت حياتنا هادئة إلى أن...». وفي كثير من روايات المعجزات قد تُحذف هذه المرحلة، ويبدأ السرد مباشرة من الأزمة.
2. مرحلة بداية الأزمة / الفقد: وهي المرحلة المحورية التي تُبنى عليها المعجزة، وتُحدد بأفعال تشير إلى الفقد أو التعرض للأذى، مثل: «أُصبت»، «تعرضت لمشكلة»، «شعرت بألم»، «مرضت».
- 0 أ. بداية الأزمة.
- 0 ب. البحث عن حلّ بالوسائل العلمية أو المنطقية والأخذ بالأسباب.
- 0 ج. فقدان الأمل في الحل.
3. مرحلة طلب القديس (مرحلة الصعود): يبدأ فيها الفاعل (صاحب الأزمة) باللجوء إلى الصلاة الحارة والتشفع بالقديس، متخذاً أشكالاً متعددة مثل: «صليت»، «طلبت من القديس»، «عاتبته»، «ذهبت إلى الكنيسة / الدير»، «قرأت كتاب معجزات القديس»، «دهنت جسمي بزيت»، «وضعت شال القديس»، «شربت ماء»، «وضعت كتاب معجزات القديس تحت الوسادة».
4. مرحلة حدوث المعجزة (الانفراج): تتمثل في التدخل القدسي المباشر الذي يحل الأزمة، وتُصاغ بأفعال مثل: «شُفيت»، «فتحت عيني»، «زال الألم»، «أنجبت»، «خرجت براءة»، «قمت».
5. مرحلة تأكيد المعجزة: التحقق من الحدث العجائبي عبر فحوص طبية أو شهادات اجتماعية أو أدلة حسية.
6. مرحلة تمجيد الله والقديس: ختام السرد بالشكر العلني وتمجيد الفاعل القدسي، مما يعيد حالة التوازن، ولكن محمّلة بدلالة روحية جديدة.

من خلال هذه التيّمات، يمكن استخلاص نموذج عام لمعجزة القديسين، يتكرر في جميع الروايات مع اختلاف في التفاصيل السطحية، لكنه يحافظ على تسلسل بنيوي واحد. إن هذا النمط — بتتابع مراحله من الحالة الطبيعية، إلى الفقد، إلى البحث عن حل، ثم اليأس، فطلب القديس، ووقوع المعجزة، فالتأكيد والتمجيد — يشكّل البنية العميقة التي يمكن قراءتها بوصفها مورفولوجيا المعجزة.

نماذج من قصص معجزات القديسين

1- كتب الأخ / جمال ذكي جاد (مقيم بشارع صابر عبد العزيز بسوهاج) عن معجزة شفائه من

الانزلاق الغضروفي بشفاة العظيمة في القديسين الأنبا توماس السائح () .

حيث قال :

إنه في يوم ١٠/٤/٢٠٠١ شعر بالألم شديد في ظهره فتوجه إلى الدكتور، وكتب له العلاج ولم يشعر بأي تحسن في تخفيف الألم، وذهب إلى دكتور آخر للكشف غير أن العلاج الذي كتبه له لم يوقف هذه الآلام. وعندما ازدادت آلام ظهره ذهب إلى مستشفى تخصصي، حيث قام الدكتور بالكشف عليه وعرفه بأنه مصاب بانزلاق غضروفي قطني حاد، وأنه يحتاج إلى عملية وأعطاه بعض الأدوية والمسكنات، وطلب منه الراحة التامة في المنزل لمدة ١٥ يومًا.

يقول هذا الأخ إنه عاد إلى منزله وهو في حالة من الضيق النفسي واليأس من عدم جدوى علاج الأطباء، ولذلك توجه هو وأسرته إلى دير العظيمة في القديسين الأنبا توماس السائح حيث حضروا القداس الإلهي وتناولوا من الأسرار المقدسة، ووقفوا أمام جسد القديس الأنبا توماس، يصلون لله ويتشفعون بالقديس ويطلبون منه بلجاجة أن يتحنن ويشفيه من الانزلاق الغضروفي، وبعد أن أخذوا بركة زيارة الجسد الطاهر للقديس الأنبا توماس السائح، تقابلوا مع أبونا إبرام الصموئيلي أمين الدير، وأخبره هذا الأخ عن مرضه وطلب الصلاة له، فصلى ثم قال له : متخافش أنت هتخف ومش هتعمل عملية، ففرح هذا الأخ وشعر هو وأسرته براحة نفسية، وعاد من الدير إلى المنزل وهو متمسك بهذا الوعد الذي سمعه في الدير المبارك.

وبعد أن عاد من الدير ازدادت آلام ظهره مرة أخرى فتوجه إلى الدكتور الذي قام بتوقيع الكشف الطبي عليه، وطلب منه عمل عدة أشعات على الفقرات والمراة والكبد والكلى، والتي اتضح منها إصابته بانزلاق في الفقرات القطنية والتهاب في المراة أيضا. وكتب له علاجًا ولكن الألم لم يخف أو يهدأ.

وعندما كان أحد الأخوة الخدام بسوهاج في زيارته، وعرف منه أن سوف يذهب إلى الدير طلب منه أن يصلى له ويقول لأبونا إبرام عن حالته، وأن يصلى من أجله، فعاد الخادم ومعه زيت مقدس من دير الأنبا توماس وماء اللقان والشال الخاص بأبونا إبرام. ويقول صاحب المعجزة أنه شرب من ماء اللقان المبارك

ودهن ظهره بالزيت المقدس، ولف جسمه ووسطه بالشال، وقام هو وأسرته بعمل تمجيد للقديس العظيم الأنبا توماس السائح، ثم نام بعد ذلك، وفي فجر اليوم التالي استيقظ على أثر ضوء شديد كان قد خرج من صورة القديس الأنبا توماس السائح التي كانت بجواره، وشعر بأن الآلام قد خفت ثم اختفت تماماً بعد يومين، ولم يشعر بأي ألم على الإطلاق.

وعندما قام بتغيير ملابسه وجدت زوجته على فائلته صورة القديس العظيم الأنبا توماس السائح وحولها صلبان على شكل نصف دائرة، وأدرك أنه قد حدثت له معجزة بشفاة العظيم في القديسين الأنبا توماس السائح وصلوات أبونا إبرام الصموئيلي⁽²⁾.

المراحل السردية للمعجزة في النموذج الشعبي:

الحياة الطبيعية: بداية حياة مستقرة بلا مشكلة ظاهرة.

المرض / الأزمة: إصابته بالانزلاق الغضروفي.

البحث عن الأطباء: تنقل بين عدة أطباء ومستشفيات.

اليأس: فقدان الأمل من العلاج الطبي.

اللجوء للقديس: زيارة الدير، التماس شفاة الأنبا توماس.

المعجزة: الشفاء بعد التمسك بالزيت المقدس والشال ورؤية الضوء.

التحقق: اختفاء الألم وظهور العلامة (صورة القديس على الملابس).

التمجيد: إعلان الشكر والتمجيد للقديس.

كتبت السيدة / نور حنا (مدينة السعادة - شبرا الخيمة - محافظة القليوبية) عن معجزة من انتفاخ ومغص شديد ومستمر في البطن، وإعطائها نسلًا بعد أن كان ذلك مستحيلًا، حيث قالت: إنها وضعت بعملية قيصرية، وبعدها توقفت عن الإنجاب تمامًا، فقد زادت بطنها بدرجة كبيرة، كما كانت منتفخة، وكان يلزمها باستمرار مغص شديد، حيث كانت تشعر بألم فظيع في بطنها، ولم تفلح معه كل الأدوية التي كتبها لها الأطباء التي كشفت عندهم. وتقول إنها كانت لا تستطيع أن تحمل أى حاجة معها للمنزل بعد عودتها من عملها، فكانت إذا اشترت شيئًا يزيد عن ٣ كيلو كانت تقف في الطريق

2 إبرام الصموئيلي - معجزات العظيم في القديسين الأنبا توماس السائح - ج 3 - دير القديس الأنبا توماس - ط 2 2006

أكثر من مرة.

وبالإضافة إلى آلامها الجسمية كانت تتألم نفسياً خاصة فيما يتعلق بتوقف الإنجاب ورغبتها في أن يكون لها ولد تفرح به، ولذلك ذهبت إلى ثلاثة من أطباء النساء والتوليد الذين أكدوا لها بأن حملها مستحيلاً، وأن نسبة الأمل في الإنجاب لا تزيد عن ٢٥%. وأخذت كل أنواع الأدوية التي تعمل على تنشيط التبويض، وعملت أشعة بالصبغة. وبعد عرضها على الدكتور قال لها ولزوجها: إذا كنتم عاوزين أولاد فالأمل ضعيف جداً، ولن يتم إلا من خلال عملية طفل الأنابيب. وهكذا سدت الأبواب في وجهها. ووضع الأطباء أمامها حلاً مستحيلاً، لأنها لا تقدر على تكلفة هذه العملية الباهظة، وبالتالي فقدت الأمل تماماً في الإنجاب، وكان كل أملها هو أن تتحسن حالتها الصحية وأن يخف المغص والانتفاخ المستمر لبطنها.

وتقول هذه الأخت إنها لم تكن لديها فكرة عن سيرة الأنبا توماس السائح، ولا عن معجزاته وحتى لم ترى صورته من قبل. وفي أول نوفمبر عام ٢٠٠٠ عندما كانت في عملها شعرت بألم شديد، فتحدثت معها زميلة لها تدعى (جنيفاف) عن معجزات العظيم في القديسين الأنبا توماس السائح، وأعطتها زيت وتراب من الدير المقدس كانت تحتفظ به في شنطتها.

وأخذت هذه الأخت الزيت والتراب وعادت إلى منزلها، وفي حوالى الساعة التاسعة مساءً أشد المغص وأصبح لا يحتمل، وكادت بطنها تتمزق من الانتفاخ وشدة الألم، فأخذت من الزيت ثم التراب ورشمت بطنها بعلامة الصليب، ثم نامت بعد ذلك.

وتقول هذه الأخت إنها رأت في حلم وكما لو كانت مستيقظة أن شخصاً صورته رسمت بالبخور وفي جانبه شيء مثل الأجنحة، ويوجد بيده ثلاثة أشياء لم تتمكن من تحديدهم، ولكنها تعرف أن عددهم ثلاثة. وجاء إليها فجأة، وفتح بطنها كما لو كان يفتح سوسته ولم تؤلمها، وأخذ يبحث في الجهة الشمال من بطنها عن حاجة زي ما يكون عارف مكانها، فقالت له: أنت بتعمل إيه؟ فسمعت صوتاً يقول لها: استنى.. وفي الحال رفع يده وأخرج من بطنها حاجة مثل النحلة أو الدبور طولها ٤ سم، وسمعت صوتاً يقول لها أهه لكي تشاهدها، فشاهدها وبعد ذلك رماها بعيداً، ثم أمسك بالثلاثة أشياء التي في يده وقفل بطنها، وفي الحال اختفى.

وتقول هذه السيدة إنها استيقظت بعد هذا الحلم في الساعة الرابعة صباحاً، والألم الفظيع الناتج عن المغص، والشعور بتمزيق في البطن قد اختفى تماماً، فكل ذلك لم يعد له أثر، ولم يأت لها نوم بعد ذلك.

ثم حكى أمام زوجها وأخيها عن شفائها وعن قصة الحلم الذى رآته وما حدث لها. فقال لها أخوها إنه العظيم فى القديسين الأنبا توماس السائح وأخرج من جيبه صورة للقديس وأعطاهها لها. وقال لها إن الأشياء الثلاثة التى رأتها فى يد القديس هى الصليب والعصا والعقد.

وتعلقت هذه السيدة بمحبة العظيم فى القديسين الأنبا توماس السائح بعد أن منحها نعمة الشفاء وأخذت تطلب منه وتتشفع به بأن يعطيها الله نسلًا قائلة له إن الأطباء قالوا لها: إن الحمل مستحيل، ولكن لا يوجد مستحيل فى شفاعتك القوية. وزادت معرفتها بالقديس خاصة بعد أن قرأت عن سيرته ومعجزات فى كتاب العظيم فى القديسين الأنبا توماس السائح. وتقول هذه السيدة إن بشفاعته تحققت المعجزة، وأصبحت حاملاً، وإنها - وقت كتابتها للمعجزة - فى شهرها الثالث بعد أن قال لها الأطباء إن حملها مستحيل. شفاعته تكون معنا أمين⁽³⁾.

1. الحياة الطبيعية: بداية حياة مستقرة بلا مشكلة ظاهرة.
2. المرض / الأزمة: إصابته بالانزلاق الغضروفي.
3. البحث عن الأطباء: تنقل بين عدة أطباء ومستشفيات.
4. اليأس: فقدان الأمل من العلاج الطبي.
5. اللجوء للقديس: زيارة الدير، التماس شفاعته الأنبا توماس.
6. المعجزة: الشفاء بعد التمسك بالزيت المقدس والشال ورؤية الضوء.
7. التحقق: اختفاء الألم وظهور العلامة (صورة القديس على الملابس).
8. التمجيد: إعلان الشكر والتمجيد للقديس
- 9- المعجزة الثانية: الحمل بعد استحالة طبية.

كتب الأخ / ب. ح (من قرية الشراية مركز المراغة محافظة سوهاج، طالب حالياً بالصف الثانى بالمعهد العالى للكمبيوتر) عن معجزة شفائه من الحمى الشوكية حيث قال:

فى عام ١٩٩٥ عندما كان عمره ١٣ سنة أصيب فى رأسه بطوبة، وذهب على أثرها إلى المستشفى وشخصت الحالة على أنها شبه ارتجاج فى المخ. وخرج من المستشفى وبعد فترة قصيرة أصيب بحمى سرعان ما تحولت إلى حمى شوكية كادت أن تودى بحياته.

أسرع به والداه إلى عدد كبير من الأطباء في سوهاج وأسيوط، ولكن حالته لم تتحسن، حيث كان لا يستطيع أن يتحرك من فراشه ولا يتكلم إطلاقاً، وبدأت الحواس تضعف السمع والبصر ضعفاً تاماً، ويقول إنه انتهى تماماً.

وقرر الأطباء أنه لا فائدة من علاجه، وكانت أسرته في غاية الحزن، ولكنهم كانوا متمسكين بالرب يسوع الذي قال: تعالوا إلى يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم كما كانوا متمسكين بشفاعه العظيم في القديسين الأنبا توماس الساخ.

وأحضرتة الأسرة إلى الدير وهو في هذه الحالة التي لا يتحرك فيها إطلاقاً، وهم في حزن وألم شديد لا يوصف بسبب مرضه، وأخذت الأسرة تصلي لله وتذرف الدموع وتتشفع بالعظيم في القديسين الأنبا توماس الساخ أن يشفيه وأن يفرح قلوبهم، وكان عشمهم فيه قويا.

ويقول صاحب المعجزة إنه ظل بالدير لمدة أربعة أيام، أمام هيكل رب المجد وجسد القديس الأنبا توماس، ويحضر صلوات السواعي ورفع البخور، وصلاة القديس الإلهي، وكأن الأسرة قد صممت على عدم خروجه من الدير إلا بعد أن ينال نعمة الشفاء مهما طال الوقت.

وفي صباح يوم الجمعة وهو نائم بمفرده بحجرة جسد القديس العظيم الأنبا توماس الساخ شم رائحة بخور ذكية، وشاهد نور وسط الجسد، وإذا به يرى القديس العظيم واقفاً أمامه، وهو يلبس ملابس بيضاء ويمسك صليباً في يده، ويقول له: «قم يا بيتر... أنت شفيت» ورشمه بالصليب، وبعد ذلك اختفى. وفي هذه اللحظة وجد نفسه واقفاً على قدميه بعد أن كان لا يقوى على الحركة، وأصبح يمشي، ويتكلم بما رآه بعينه، وكأنه لم يكن به أي مرض.

ويستطرد صاحب المعجزة قائلاً: كم كانت فرحة قداس يوم الجمعة الموافق 8\9\1995 بعد نواله نعمة الشفاء، وبعد أن قال الأطباء إن علاجه أمر مستحيل، ولكن هل يستحيل شيء على الله وعلى قديسه العظيم الأنبا توماس الساخ؟ إن الإجابة معروفة من مجيئه للدير وهو محمول على الأعناق لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر وخروجه من الدير وهو سائر على قدميه يضحك ويلعب، وكم كانت فرحة أفراد أسرته بشفائه أنها لا توصف، ومجدوا الله وشكروا شفيعهم العظيم في القديسين الأنبا توماس الساخ⁽⁴⁾.

المراحل السردية للمعجزة في النموذج الشعبي:

1. الحياة الطبيعية: طفل عمره 13 سنة يعيش حياة عادية.
2. المرض / الأزمة: إصابته أولاً بارتجاج، ثم الحمى الشوكية الخطيرة.
3. البحث عن الأطباء: التنقل بين مستشفيات وأطباء في سوهاج وأسيوط.
4. اليأس: قرار الأطباء بعدم جدوى العلاج.
5. اللجوء للقديس: نقله إلى دير الأنبا توماس والتشفع هناك.
6. المعجزة: ظهور القديس له بالملابس البيضاء والصليب، وإعلانه الشفاء.
7. التحقق: النهوض والمشي والتكلم أمام الأسرة والجماعة.
8. التمجيد: فرحة القديس، وشكر الله والقديس على الشفاء.

4- السيد / جرجس بانوب جرجس

عزبة راغب - بلقاس

في عام ١٩٦٤ كنت في التاسعة من عمري عندما ظهرت على عيني اليمنى سحابة بيضاء أخذت تكبر يوماً بعد يوم حتى عجزت عن الإبصار بهذه العين.

توجهت إلى الإسكندرية للعلاج، وأقمت عند خالتي، واستمر التردد على الأطباء عدة شهور، ولم يحدث أي تحسن، ولم يعد هناك أي بصيص من أمل في عودة البصر إلى عيني.

ولكن ذات مساء ذهبت مع والدي إلى الكنيسة المرقسية بالإسكندرية، وكان البابا كيرلس (٥) موجوداً هناك... وبينما كان ماراً بين الصفوف يبخر في الكنيسة أمسك والدي بشال قداسته، ومسح به عيني، فالتفت إلينا وقال: (ربنا هيشفيه).

وفي صباح الغد تلاشت السحابة عن عيني إلا نقطة صغيرة لا تؤثر على قوة إبصاري - ربما بقيت لأجل التذكرة بعمل الله - لقد عادت إليها نعمة البصر، وبسهولة بفضل دعوات البابا، وبالشال الذي تطهر ببركته... ونظري الآن ٦/٦.

أطلب من روحه الممجدة مع الشهداء والقديسين أن تظل معنا على الدوام (٦).

5 البابا كيرلس السادس هو بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية الـ 116، وُلد في 2 أغسطس 1902 توفي في 9 مارس 1971 ونقل جثمانه إلى دير مارميناء. وقد اشتهر بعمل المعجزات.

6 أبناء البابا كيرلس السادس - معجزات البابا كيرلس السادس - ج 11 - د. ت. ص 53

التحليل البنيوي — مراحل المعجزة

1. الحياة الطبيعية: طفل في التاسعة يعيش حالة طبيعية قبل ظهور العارض.
 2. المرض / الأزمة: ظهور «سحابة بيضاء» على العين وتفاقم العمى الجزئي.
 3. البحث عن الأطباء: مراجعات طبية متكررة في الإسكندرية دون تحسن.
 4. اليأس: فقدان البصيص من الأمل في عودة البصر عبر الوسائل الطبية.
 5. اللجوء للوسيط القدسي: الذهاب إلى الكنيسة، الاحتكاك بشال قداسة البابا (رمز وساطة وقداسة).
 6. الحدث العجائبي / المعجزة: قول البابا «ربنا هيشفيه» ولفعل الشال أثر مباشر — تلاشي السحابة تدريجياً.
 7. التحقق: عودة الإبصار عملياً (قياس النظر 6/6).
 8. التمجيد: شكر وامتنان ودعاء لروح البابا الممجدة.
- هذه القصة تبرز نمطاً شائعاً في معجزات الشفاء: غياب النتيجة الطبية + ظهور وسيط ذي سلطة (هنا: البابا وشاله) يؤدي إلى حدث مفاجئ يُتحقق مادياً، ثم يتبعه تمجيد علني. في هذا النموذج تظهر الوساطة الشخصية (لمس الشال، كلمة البابا) بوصفها عاملاً محورياً يماثل وظائف «العون الخارق» في مصفوفة بروب.

قرينة السيد / فخرى بولس

4 عطفة محمود حلمي بالترعة البولاقية - القاهرة

تقول السيدة الفاضلة: ماتت لي ابنة وهي في سن الخامسة، فأخذت أطمخ خدودي بعنف مما أفقدني البصر. وكنت أحتاج إلى من يقودني. وبقيت على هذه الحال أسبوعين إلى أن نصحتني البعض بالذهاب إلى البابا كيرلس السادس.

ذهبت مبكرة في صحبة الأهل، وكان قداسة يهيم بدخول الكنيسة فتقدم واحد من أقاربي، وشكا له ما أعاني، فاقترب قداسته مني، وأمسك برأسي، ووضع عليها الصليب المقدس، ثم قال لي: (بعد القداس هتشوفي بعنيكي الاثنين).

لقد فرحت لذلك فرحًا بالغًا، وإن خامرني الشك في إمكان تحقق هذا القول بمثل هذه السهولة دخلت الكنيسة لحضور القداس، وفي أثناء توزيع الأسرار المقدسة شعرت كأن هناك من يمسك إبرة، ويضعها في جبيني، ثم وجهها صوب العينين، وعندئذ عادت إلي نعمة البصر... فتهللت أنا والذين معي شاكرين الله.

ثم اتجهت إلى قداسة البابا، وكان يستقبل أبناءه، فأعطاني قطنة بزيت لأدهن به عيني بعد ذلك. لقد كان لهذه المعجزة وقع كبير على أهل الحي الذي كنت أقيم فيه وقتذاك⁽⁷⁾

التحليل البنيوي — مراحل المعجزة

1. الحياة الطبيعية: امرأة تعيش حياتها قبل الفقد.
2. الأزمة الأولى: موت الابنة (صدمة نفسية).
3. الأزمة الثانية / المرض: لطمت وجهها بعنف - فقدان البصر.
4. العجز / استمرار الأزمة: أسبوعان من فقدان الرؤية والحاجة إلى مرافق.
5. البحث عن الخلاص: نصيحة المحيطين - اللجوء إلى البابا.
6. الوساطة القدسية: البابا يضع الصليب المقدس على رأسها ويَعِد بالشفاء بعد القداس.
7. الحدث العجائبي / لحظة التحول: أثناء التناول - شعور بوخز إبرة في الجبين والعينين - عودة البصر فجأة.
8. التحقق: البصر عاد تمامًا، تأكيد شخصي وجماعي.
9. البركة المادية المستمرة: إعطاؤها قطنة بزيت لتستعمله لاحقًا.
10. التمجيد والانتشار: شكر الله أمام الجميع، انتشار الخبر في الحي، تعزيز سمعة البابا كصانع معجزات.

هذه الرواية مميزة لأنها تكشف عن تداخل البُعد النفسي بالجسدي (فقدان البصر كأثر للحزن واللطم) ثم حدوث علاج روحي - طقسي مزدوج: كلمة البابا + حضور القداس + التناول + الصليب. أي أن المعجزة هنا ليست لحظة عابرة فقط، بل طقس متكامل.

6- السيدة / أنجيل جورجي ناشد

كليفلاند - أوهايو، الولايات المتحدة

7 أبناء البابا كيرلس السادس - مرجع سابق - ص 54

تعودت وأسرقى أن نقرأ كتب البابا كيرلس السادس لما فيها من بركة وروحانية، وعندما نزور مصر تتوجه إلى دير مارميناء، وامتع نفسى برؤية مزاره، وصوره المباركة التى تشع بالروحانية.

وفى أرض الغربية هنا بعد منتصف ليلة ٤ فبراير سنة ١٩٨٥ شعرت بالألم فظيع فى جسمي كله، وخاصة ظهرى وقدمي، ولم أستطع لشدة الألم أن أبرح فراشي، وظللت أبكي، وأصرخ حتى الصباح.

توجهت إلى الطبيب، وأنا غاية فى الألم، فأشار بسرعة دخولي للمستشفى، وبعد عمل عديد من الأشعة والتحليل رأى الأطباء أن هناك التواء فى أحد الغضاريف مما أثر على قدرتي على الحركة.. وبعد أن قضيت بالمستشفى تسعة عشر يومًا - أخذت خلالها الكثير من الأدوية - لم يطرأ أي تحسن، وصرفت لى المستشفى عكازين لم أكن أستطيع السير بهما دون مساعدة أحد الأشخاص.

وقد أشار طبيب المستشفى أن أتوجه إلى طبيب معين متخصص فى علاج مثل هذه الحالات. ويمكنني أن أغادر المستشفى. ولما قمنا بالحجز لدى ذلك الطبيب حدد يوم 20\3\1985 موعدًا للكشف أي بعد شهر تقريبًا، ورفض تقديم هذا الموعد رغم ما أنا فيه من ألم مبرح، وعجز عن الحركة.

لجأت إلى الصلاة، متضرعة بدموع إلى الله لكي يتحنن علي ويرسل لي البابا كيرلس يلمسني بلمساته الشافية. وكنت أقرأ أيضًا كتب معجزاته، وقلبي مملوء بالإيمان، وعيني تذرف الدموع من قوة وعظمة معجزاته. وكررت دعائي أن يكون شفائي على يد قداسته.

وفى ليلة يوم 9 مارس الماضي، ذكرى نياحة البابا كيرلس قضيت ليلتي فى الصلاة والبكاء. وفجأة ظهر أمامي عمودان من النور، وشعرت بشيء قوى يشد أعصابي من أعلى الفخذ الأيمن حتى أطراف أصابعي، وفى الحال نهضت من الفراش واقفة على قدمي، فصرخت حمد الله وشكرًا لاسمه القدوس... وتذكرت شفيعى البابا كيرلس الذى بصلواته زال المرض والألم.

وذهبت إلى الطبيب يوم ٢٠ مارس حسب الموعد، فقام بالكشف الدقيق على ظهرى وقدمي، وكان مندهشًا متعجبًا... فليس هناك أثر للمرض.

والعلاج... لا يوجد علاج. (٨)

التحليل البنيوي (المراحل)

1. الوضع الطبيعى: حياة هادئة فى المهجر مرتبطة روحياً بالبابا كيرلس عبر الكتب والزيارة للدير.

2. الأزمة الأولى: ألم جسدي مبرح يهاجمها فجأة.

8 أبناء البابا كيرلس السادس - مرجع سابق - ص 64

3. تشخيص الأزمة: المستشفى - التواء غضروفي يمنع الحركة + 19 يوم بلا تحسن.
 4. العجز: اعتماد كامل على الآخرين + موعد بعيد مع الطبيب.
 5. التحول نحو المقدس: لجأت إلى الصلاة والبكاء بدموع، طالبة شفاة البابا كيرلس.
 6. التجلي العجائبي: ظهور عمودين من النور + شعور بالقوة تسري في الجسد.
 7. الشفاء الفوري: القدرة على الوقوف والمشي بلا عكازين.
 8. التحقق: الكشف الطبي في 20 مارس - لا أثر للمرض.
 9. الخاتمة: نسب الشفاء إلى الله بشفاة البابا، وتأكيد البعد الإيماني.
- اللافت هنا أن المعجزة تقع في أرض الغربة، مما يعطيها بعداً إضافياً: المقدس يعبر الحدود الجغرافية ويتجلى للمؤمن حتى خارج موطنه، عبر الإيمان وذاكرة العلاقة الروحية بالقديس. كما أن عنصر الزمن المقدس حاضر (ذكرى نياحة البابا) بما يضيف قوة مضاعفة على المعجزة.

السيدة / إيزيس فهميم

كفر الدوار

اكتب اليوم رسالة مطولة عن معجزة حدثت لابني الصغير (ميناء) ولكن قبلها يجب أن أحكي أولاً عن معجزة مجيء هذا الطفل إلى الحياة.

في أثناء فترة الخطوبة أصبت بعدة أمراض بسبب أخذ أدوية بطريق الخطأ، دخلت على إثرها المستشفى القبطي بالإسكندرية مارس (١٩٧٨)، وكان من ضمن هذه الأمراض اختلال في الغدد، وأجمع الأطباء على أنني لو شفيت (كان الشفاء معجزة) فلن أنجب.

وبعد الزواج تأخر الحمل... وكنت دائماً أتشفع بالبابا كيرلس السادس، ونذرت أن أدعو مولودي باسم (ميناء)... وقد تحن الله علينا، وأعطاني (ميناء).

وبعد ذلك بجواري خمسة شهور بدأت رحلة العذاب، والقلق حيث أصيب ابني بحالة إسهال حار فيها الأطباء، وترددت على أساتذة كثيرين بالإسكندرية، منهم من قال: نزلة معوية، وآخرون إسهال عصبي، وفريق ثالث: ديدان كثيرة. وأجريت مزارع وتحاليل بلا عدد، وأخذ كل أدوية الإسهال.

شفي طفلي شفاءً مؤقتاً لا يستمر إلا أسابيع أو شهور قليلة، ثم تعاوده الحالة ثانية. ورغم كثرة عدد

مرات الإسهال فإنه لم يصب بالجفاف.

وفي يوم 29\2\1985 عاودته الحالة، ولكن دون انقطاع، حتى شهر أكتوبر، فأصيب الطفل بهزال شديد، لأنه حرم أيضًا من بعض الأطعمة مثل اللبن.

قررنا السفر إلى القاهرة، وعرضناه على الطبيب بمستشفى السلام الدولي، فقام بعمل كونسلتو، وأجريت له بخلاف الأشعة تسعة عشر تحليلًا خلال خمسة أيام، وهذا الكم الكبير لطفل لم يكتمل عامه الرابع هو عذاب ومرار لا يوصف: «وليه يا ماما عملي كده في مينا حبيبك....» هذه عبارة واحدة من كلام كثير كنت أسمعه منه طوال تلك الأيام.. كان يبكي أحيانًا بلا انقطاع... وكنت استخدم المهدئات لاختلاس ساعات نوم قليلة.

وظهرت النتيجة.... وكانت مفاجأة «حساسية ضد القمح»، حالة شاذة، ونادرة جدًا في مصر. وهذه الحساسية تسبب ضمور بعض خلايا الأمعاء، فلا تمتص الطعام، فيندفع كما هو إلا جزء من السكريات، كان يمتص، وهذه معجزة حتى يعيش الطفل. ورأى الطبيب المعالج عمل منظار على المعدة والأمعاء، وكنت خائفة جدًا من هذه العملية، ولكن عاد، وأرجأها إلى وقت لاحق بعد أن استشار بعض الأطباء. أما العلاج : لا يوجد علاج.

والروشتة : ممنوع تناول كل ما يدخله دقيق القمح : العيش... المكرونة..... البسكويت. كدت أجن... لقد حرم من ثلاثة أرباع أصناف الطعام.. ما هذا الحكم القاسي.. أصبت. بذهول... كان حرمانه قاسيًا... ولكن كلامه كان أقسى بكثير. إنني أكتب بدموعي إذ تذكرت كل شيء من جديد ومينا لن يأكل الخبز قبل سن الثامنة عشر، والتحسن الآن سيكون بطيئًا جدًا... ٤٠% بعد شهرين، وإذا أكل لقمة صغيرة سيضيع تعب شهور.... وحتى العلاج بالخارج مازال تحت التجريب. حاولت التأقلم مع الحياة الجديدة، وشعرت أن مجرد بقاء «مينا» على قيد الحياة دون إصابته بأمراض أخرى هو نظرة عطف من الله لشخصي.

وخلال رحلة المعاناة هذه كنت أطلب شفاعة السيدة العذراء، وأبي القديس البابا كيرلس، الذي كنت اعتبر، مينا، ابنًا له. وكانت والدتي تطلب من ابني عندما يتناول قطعة خبز صغيرة أن يقول: «أنا بأكل من إيدك يا ماما العدرا» فكان يردد هذه الجملة بتضرع رجل كبير.

وفي ١٣ يناير ١٩٨٦ أكل الطفل كمية كبيرة من الخبز، وقطعة تورته.. وتعب بعدها لمدة ٢٠ ما، ثم بدأ يتحسن بعد ذلك.

وفي يوم عيد ميلاده ٢٠ فبراير ١٩٨٦ أكل كما شاء وهو يردد: وأنا بأكل من إيديك يا ماما العدرا... ولم يحدث شيء بعد ذلك.

وفي يوم ٢٥ فبراير ١٩٨٦ طلب أن يأكل خبزاً، فرفضت، لكنه قال لي: «أنا خفيت خلاص.. أصل العدراء جات (جاءت) من السماء طيارة هي والبابا كيرلس، وشالوني، وقالوا لي حانعمل لك معجزة يا (ميننا)، وها تصحى، وتأكّل كل حاجة».

جلست بجواره أسأله - من شدة دهشتي. عما كانت ترتديه العدراء، فأجاب أنها كانت ترتدى ملابساً أبيض، وفيه لبنى «... ثم سألته عن البابا كيرلس، فقال إنه كان ممسكاً بصليب. أعدت سؤاله مرة أخرى فكرر القول دون زيادة، أو نقصان... رواه لوالده، ولأُمي، وللجارية، وللأب التقي المحبوب أبونا ميخائيل راعي كنيسةنا، فمجد الله.

اليوم 1986\3\8 و«ميننا» يأكل مثل كل الأطفال، ولا ينسى عبارته (بأكل من إيديك يا ماما عدرا، والبابا كيرلس)

أما أنا فسأدخل دير مارميننا زاحفة على ركبتى تعبيراً عما بداخلي، ولا أعرف ماذا أفعل. أبكي.. اسجد.. أصلي.. كل هذا لا يكفي أبداً، ولا يفي ما فعله الرب معنا..

إني أشعر دائماً بالبابا كيرلس في حياتي، وعندى شيء بركة من البابا كيرلس، وكلما أكون في ضيقة أخذها معي، مع صورة لمارميننا، فأشعر بالأمان... وبمجرد أن ترتفع درجة حرارة ابني يقول: (اشفيني يا سيدنا)، يزول المرض، ولا نحتاج إلى طبيب.^(٩)

التحليل البنيوي (المراحل)

1. الوضع الطبيعي: فترة الخطوبة والزواج، حلم الأمومة.
2. الأزمة الأولى: المرض واختلال الغدد - حكم الأطباء باستحالة الإنجاب.
3. المعجزة الأولى (الإنجاب): تحقق الحمل والولادة بعد التشفع بالبابا كيرلس.
4. الوضع الجديد: ولادة الطفل (ميننا) كبداية رجاء جديد.
5. الأزمة الثانية: مرض الإسهال المزمن - تشخيص «حساسية القمح» بلا علاج.

6. مرحلة العجز: حرمان قاي من الطعام + عذاب نفسي للأسرة.
7. التحول إلى المقدس: صلاة حارة، نذور، تضرعات إلى العذراء والبابا كيرلس.
8. التجلي العجائبي: ظهور العذراء والبابا كيرلس للطفل نفسه (وليس للأم)، وحملهما له وإعلانهما الشفاء.
9. الشفاء: الأكل الطبيعي بعد عيد ميلاده دون أي أعراض.
10. التحقق الاجتماعي: الطفل يروي ما رآه بنفسه للأم، الأب، الجدة، الكاهن؛ والشفاء يتأكد واقعياً.
11. الخاتمة: ارتباط وجداني مستمر بالبابا كيرلس والعذراء، وصيرورة مينا نفسه «شاهدًا حيًا للمعجزة».

لدينا هنا بنية مزدوجة: معجزة إنجاب (بداية الحياة) + معجزة شفاء (حفظ الحياة). المعجزة تأتي عبر شهادة الطفل نفسه الذي صار «راويًا للحضور المقدس»، وهذا يضيف قوة استثنائية على السرد، لأن صوت البراءة الطفولية يعزز صدق الرواية. يظهر هنا أيضًا دور الزمن المقدس (عيد الميلاد) بوصفه لحظة تحول وشفاء.

8- وهناك معجزة متداولة بين الأقباط ومنتشرة على مواقع الإنترنت واليوتيوب عن شفاء العذراء لحفيد شخصية إعلامية شهيرة :

السيدة المعروفة (س) وهي مذيعة سابقة وعضو في مجلس الشعب هي الشغل الشاغل لأهل أسيوط من الأقباط والمسلمين القصة تبدأ عندما أصيب حفيد (س) وهو طفل لم يتجاوز سن المراهقة بعد بمرض السرطان في المخ، ولم يفلح معه علاج ووصل إلى مراحله الأخيرة، وفقد الجميع الأمل في شفائه، وباتت أيامه في الأرض معدودة وبينما الأسرة كلها تتجرع مرارة الحزن ذهبت إليها إحدى الصديقات المسيحيات ونصحتهم بالتشفع بالسيدة العذراء خاصة وأن صيامها قد بدأ، وأعطتهم صورة لتجليات العذراء في أسيوط ولما كانت الأسرة فاقدة الأمل أخذت الصورة ووضعتها تحت رأس الابن المريض حيث يوجد مكان السرطان وباتت الأسرة كلها ليلتها حول فراش الابن المريض ومن بينهم السيدة (س). وفي الليل استيقظوا فجأة على السيدة العذراء وهي تقلب رأس الولد النائم وتحركها قامت (س) جده

الولد المريض وأمه مفزوعتان نحو تلك السيدة، وإذ بمفاجأة أخرى تنتظرهم إذ براهب يرتدي جلباباً أسود واقف بجوار السيدة يقول لهم: متخافوش لو عايزين ولدكم يخف سيبوا العذرا تعمله العملية ووقع رعب شديد على الجميع وإذ بالسيدة العذراء تخرج معدات جراحية وتقوم بعمل العملية الجراحية في رأس الولد وبعد انتهائها نظرت إلى الأم والجدة وقالت لهم: روحوا لدير العذرا في جبل أسيوط، ثم اختفت هي والراهب الذي معها وفي الصباح استيقظوا جميعاً وقد اعتقدوا أن ما رأوه بالأمس كان حلمًا إلا أن بقعة دم كبيرة كانت توجد أسفل رأس الابن المريض لكن بلا أثر للجراحة على الإطلاق وكانت المعجزة. قام المريض الذي كان يحتضر معافي بلا أي ألم أو مرض واثبتت التحاليل والفحوصات والمسح الذري أن هذا الابن معافي تماما وغير مصاب بأي أورام سرطانية في أي جزء من جسده، وبعد التأكد من صدق المعجزة قررت (س) هي والعائلة أن تحقق طلب السيدة العذراء، وبالفعل توجهت هي وأسرتها الكبيرة يوم الثلاثاء ثالث أيام الصوم المقدس إلى جبل أسيوط حيث يقع دير السيدة العذراء العامر، ووقفت أمام باب الكنيسة الأثرية منتظرة الموكب اليومى للعذراء (الدورة) الذي يخرج فيه نيافة الأنبا ميخائيل، وما إن مر مطران أسيوط الأنبا ميخائيل من أمامها حتى صاحت (س) وهي تبكي: هوذا الراحل اللي ظهر مع العذرا، ووسط حيرة الحشود البشرية أسرع (س) نحو الأنبا ميخائيل، وأمسكت يده بشدة وقبلتها حاول الأنبا ميخائيل التنكر من أنه لم يظهر إلا أنها أصرت أنه هو فعلا الذي ظهر في منزلها مع أم النور وتحت إصرارها أقر المطران بالواقع وأخذها هي وأسرتها إلى مقره الخاص في الدير ودخل المقر المغلق للأنبا ميخائيل كان لقاء الأب بأبنائه تحدث كثيرا مع السيدة (س) وعائلتها وأخبرها مراراً أن العذراء هي التي صنعت لها المعجزة، وأنه لم يفعل شيئاً وفي النهاية سألتها: أنت دلوقت بتحجى المسيح ولا العذرا؟؟ فأجابت: أنا بحب الاتنين أكثر من بعض !! فأعطاها الأنبا ميخائيل تمثالاً كبيراً للسيد المسيح وآخر للسيدة العذراء وأوصاها بأن تضعهما في مكان بارز بحيث يراها كل من يدخل بيتها فوعده بذلك كما أهداها 2 سي دي تشمل ظهورات السيدة العذراء على قباب لكنيسة المرقسية في أسيوط وكذلك دير جبل أسيوط عامي 2000 و 2001، فقبلتهما بفرح عظيم وكانت تنوى نشر معجزتها في جريدة وطنية إلا أن الحبر الجليل رفض رفضاً باتاً وطلب منها أن تكتب المعجزة بخط يدها وتودعها بمكتبة الدير. بركة صلوات وشفاعة العذرا أم النور تكون مع جميعنا آمين.

التحليل البنيوي

1. الوضع الطبيعي: أسرة معروفة، حفيدها في صحة.
2. الأزمة: مرض السرطان المستعصي، وصوله للمرحلة النهائية، فقدان الأمل.
3. الوسيط المقدس: صورة العذراء (أيقونة / رمز لظهوراتها).
4. التجلي العجائبي: العذراء تظهر بصحبة راهب (الأنبا ميخائيل).
5. الفعل المعجزي: عملية جراحية كاملة، لكنها روحية / سماوية، مصحوبة بأثر دموي مادي.
6. الشفاء: تحقق الشفاء الطبي المثبت بالأشعة والفحوص.
7. التجلي الاجتماعي: زيارة دير أسيوط، اعتراف الأنبا ميخائيل، هدية التماثيل والأشرطة.
8. الخاتمة: تثبيت المعجزة كتابةً في مكتبة الدير، ومنع نشرها إعلامياً (تحويلها من حدث شعبي متداول إلى «سجل كنسي»).

الخاتمة

عبرت تتبع شهادات المعجزات المرتبطة بالبابا كيرلس السادس والسيدة العذراء، تكشف لنا البنية السردية لهذه الحكايات الشعبية عن انتظام واضح يمكن رصده وفق منطق «المورفولوجيا» أو علم وظائف البنية الحكائية. إذ نجد أن معظم القصص تبدأ بالأزمة: مرض مستعص، عجز جسدي، أو استحالة طبية مطلقة. يلي ذلك لحظة التدخل المقدس التي تأخذ صوراً متنوعة: ظهور نور، لمسة صليب، توزيع زيت، أو رؤية مباشرة للقديس أو العذراء. أما المتلقي فهو غالباً شخصية بسيطة من عامة الناس: امرأة، طفل، رجل مريض، بما يعكس تجذر هذه التجارب في الحياة اليومية بعيداً عن النخبة. وأخيراً تأتي لحظة التحقق حيث يعلن الجسد ذاته عن الشفاء التام أو تثبت الفحوص الطبية اختفاء الداء، ويتحول الخبر إلى شهادة متداولة في المجتمع المحلي أو عبر وسائل الإعلام الحديثة.

هذا الانتظام السردى يعكس في جوهره «مورفولوجيا للمعجزة»، حيث تتكرر الوظائف الحكائية (أزمة - تدخل - تحقق) مع اختلاف التفاصيل والشخصيات. وهنا يظهر التقاطع مع منهج فلاديمير بروب في الحكاية الشعبية، إذ تتكرر البنى الوظيفية رغم اختلاف السياقات، بينما تتيح مقارنة ليفي-ستروس وغريماس توسيع دائرة التحليل نحو البنى العميقة للشئانية (مرض / شفاء - يأس / رجاء - بشري / إلهي).

من خلال هذا المنظور، تصبح المعجزة الشعبية أكثر من مجرد واقعة روحية فردية؛ إنها سرديّة ثقافية تعكس رؤية الجماعة للعالم وجدلية حضور المقدس في تفاصيل الحياة اليومية. فهي تؤكد على مركزية الأمل في قلب التجربة الشعبية، وعلى قدرة السرد الديني على إعادة صياغة المستحيل ضمن منطق الإيمان. وهكذا، فإن «مورفولوجيا المعجزة» ليست مجرد رصد لشهادات متفرقة، بل هي محاولة لإدراك البنية العميقة التي تمنح هذه الحكايات قوتها وانتشارها وفعاليتها في المخيال الجمعي.

الهوامش والمراجع

- فلاديمير بروب: مورفولوجيا الحكاية الخرافية: تر، أبو بكر أحمد باقادر، أحمد عبد الرحيم نصر، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1989.
- 2 القديس الأنبا توماس السائح هو قديس مصري عاش في القرن الخامس الميلادي، اشتهر بحياته النسكية والزهد في جبل شنشيف (بالقرب من سوهاج). وُلد في قرية شنشيف (الآن عرب بني واصل) من أبوين مسيحيين، واتجه لحياة الوحدة والعبادة في مغارة بالجبل. عُرف بفضائله ومواهبه، بما في ذلك صوته الهادئ في التسبيح، وحفظه للكتاب المقدس، وقدرته على عمل الآيات والشفاء.
- 3 إبرام الصموئيلي - معجزات العظيم في القديسين الأنبا توماس السائح - ج3 - دير القديس الأنبا توماس - ط2 2006 ص45
- 4 إبرام الصموئيلي - مرجع سابق ص47
- 5 إبرام الصموئيلي - مرجع سابق ص33
- 6 البابا كيرلس السادس هو بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية الـ 116، وُلد في 2 أغسطس 1902 توفي في 9 مارس 1971 ونقل جثمانه إلى دير مارمينا. وقد اشتهر بعمل المعجزات
- 7 أبناء البابا كيرلس السادس - معجزات البابا كيرلس السادس - ج11 - د.ت. ص53
- 8 أبناء البابا كيرلس السادس - مرجع سابق - ص54
- 9 أبناء البابا كيرلس السادس - مرجع سابق - ص64